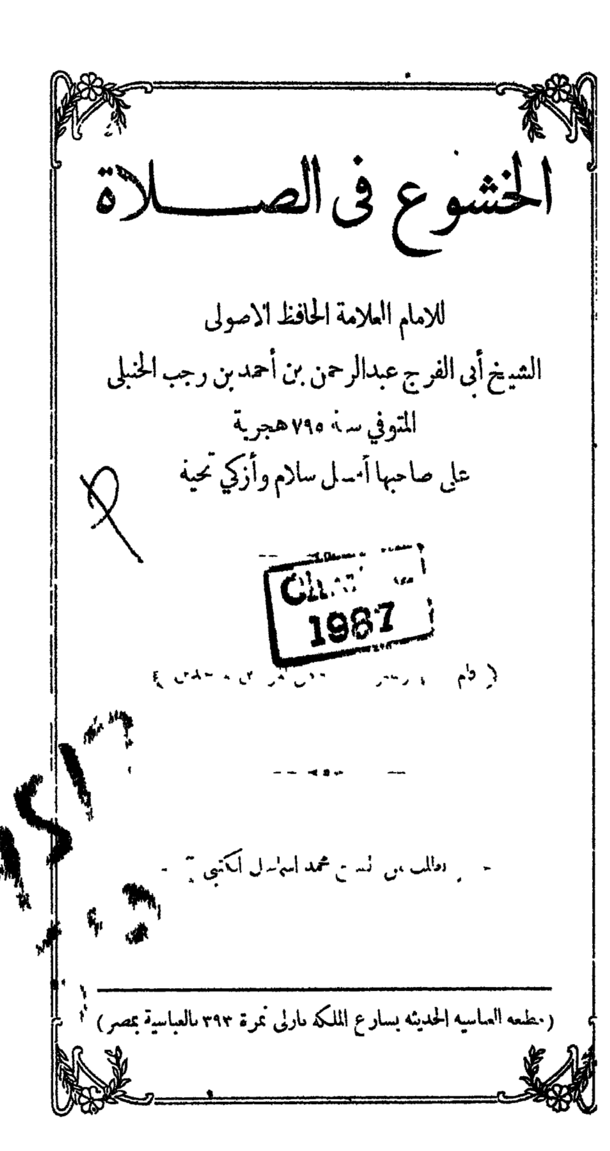


الخشوع فى الصـــلاة

للامام العلامة الحافظ الاصولى

الشيخ أبى الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى

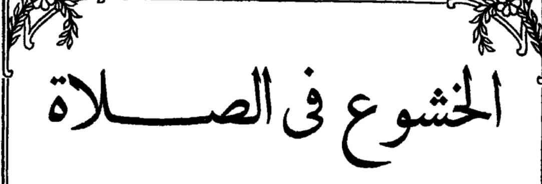
المتوفي سنة ٧٩٥ هجرية

على صاحبها أفضل سلام وأزكي تحية

[illegible]

[illegible] محمد اسماعيل الكتبي [illegible]

(مطبعة العباسيه الحديثه بشارع الملكه نازلى نمرة ٣٩٣ بالعباسية بمصر)



الخشوع فى الصلاة

للامام العلامة الحافظ الاصولى

الشيخ أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى

المتوفي سنة ٧٩٥ هجرية

على صاحبها أفضل سلام وأزكي تحية

(قام بطبعها ونشرها جماعة من المؤمنين الموحدين)

يطلب من الشيخ محمد اسماعيل الكتبي

(مطبعة العباسية الحديثة بشارع الملكة نازلى نمرة ٣٩٣ بالعباسية بمصر)

ترجمة المؤلف

هو العلامة زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن حسن بن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين . قال في الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء هو الامام الاصولى المحدث الفقيه الواعظ الشهير . كان اماماً في العلوم له مصنفات كثيرة منها شرح البخارى وشرح الاربعين النووية وطبقات الحنابلة والقواعد ورياض الانس وغيرها . مات بدمشق ودفن بباب الصغير عند قبر معاوية انتهى . وقال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق متع الله بطول بقائه مذيلا على فوات الوفيات كان اماماً بارعاً عديم النظير في عصره ألف تاريخ العلماء الحنابلة وهو المعروف بطبقات ابن رجب وله كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة وشرح كبير على الاربعين النووية سماه جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم وغير ذلك من المؤلفات النافعة توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ☆

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : ولد ابن رجب هذا رحمه الله ببغداد في ربيع الاول سنة ست وسبعمائة . وقدم دمشق مع والده فسمع معه من محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن الخباز وابرهيم بن داود العطار وغيرهما وبمصر من أبي الفتح الميدومي ومن أبي الحرم القلانسي وغيرهما . وأكثر من المسموع وأكثر الاشتغال حتى مهر وصنف شرح الترمذى وقطعة من البخارى وذيل الطبقات للحنابلة واللطائف في وظائف الايام بطريق الوعظ وفيه فوائد والقواعد الفقهية أجاد فيه وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ وخرج لنفسه مشيخته مفيدة ومات في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة انتهى ☆

قلت وله أيضاً من المؤلفات التى اطلعت عليها اختيار الاولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى . وكتاب في أحكام الخراج



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والحمد لله رب العالمين

الحمد لله جابر القلوب المنكسرة من أجله ، وغافر ذنوب المستغفرين بفضله . وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، ولا شيء كمثله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وخيره بين أن يكون ملكا نبياً أو عبداً رسولا ، فاختار مقام العبودية مع رسوله ، وكان يقول اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين . تنويهاً بشرف هذا المقام وفضله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، والمستمسكين بحبله وسلم تسليما ☆

(وبعد) فان الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه المخبتين (١) له ، والمنكسرين لعظمته ، الخاضعين والخاشعين لها . قال الله تعالى (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) وقال (والخاشعين والخاشعات) الى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) ووصف المؤمنين بالخشوع له في أشرف عباداتهم التي عليها يحافظون . فقال (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حيث يكون كلامه مسموعاً فقال (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته ، فاذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لانها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم « ألا أن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » فاذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الاعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام . ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه في الصلاة « خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي » وفي رواية « وما استقل به قدمي » ورأى بعض السلف رجلا يعبث بيده في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . وروى ذلك عن حذيفة رضي الله عنه وسعيد بن المسيب . ويروى مرفوعاً لكن باسناد لا يصح (٢) قال المسعودي

---

(١) الاخبات الخشوع والتواضع (٢) ذكره في عوارف المعارف

عن أبي سنان عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال هو الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم وأن لا تلتفت في صلاتك. وقال عطاء بن السائب عن رجل عن علي رضي الله عنه « الخشوع خشوع القلب وأن لا تلتفت يميناً ولا شمالاً » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال خائفون ساكنون ، وقال ابن شوذب عن الحسن رحمه الله تعالى « كان الخشوع في قلوبهم فغضوا له البصر في الصلاة » وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله (وكانوا لنا خاشعين) قال متواضعين . وقد وصف الله تعالى في كتابه الارض بالخشوع فقال (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) فاهتزازها وربوها وهو ارتفاعها مزيل لخشوعها فدل على أن الخشوع الذى كانت عليه هو سكونها وانخفاضها فكذلك القلب اذا خشع فانه تسكن خواطره وارادته الرديئة التى تنشأ من اتباع الهوى وينكسر وينخضع لله فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر ؛ ومتى سكن ذلك في القلب خشعت الاعضاء والجوارح والحركات كلها حتى الصوت . وقد وصف الله تعالى الاصوات بالخشوع في قوله (وخشعت الاصوات للرحمن) فخشوع الاصوات هو سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها . وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة بالخشوع فدل ذلك على دخول الخشوع في هذه الاعضاء كلها ؛ ومتى تكلف الانسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه كان ذلك خشوع نفاق ؛ وهو الذى كان السلف يستعيذون منه كما قال بعضهم استعيذوا بالله من خشوع النفاق . قالوا وما خشوع النفاق ؟ قال أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع * ونظر عمر رضي الله عنه الى شاب قد نكس رأسه فقال له يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر خشوعاً غير ما في قلبه فانما هو نفاق على نفاق . وأصل الخشوع الحاصل في القلب ؛ انما هو من معرفة الله ، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله ، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع . ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له ، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع . فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عبده واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى ومراقبته في الحركات والسكنات . ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضى للاستغراق في محبته والشوق

الى لقائه ورؤيته . ومن خاشع لمطالعتـه شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه وهو سبحانه وتعالى جابر المنكسرة قلوبهم من أجله ؛ وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه في الصلاة ويعفر وجهه في التراب بالسجود ، كما يتقرب من عبادة الداعين له ، السائلين له ؛ المستغفرين من ذنوبهم بالاسحار ، ويجيب دعاءهم ، ويعطيهم سؤلهم ، ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب والاجابة . روى الامام أحمد رحمـه الله تعالى في كتاب الزهد باسناده عن عمران القصير قال « قال موسى عليـه السلام أى رب أين أبغيك ؟ قال أبغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ؛ انى أدنو منهم كل يوم باعاً فلولا ذلك لانهدموا » وروى ابرهيم بن الجنيد رحمه الله تعالى في كتاب المحبة عن جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار قال « قال موسى عليه السلام : الهى أين أبغيك ؟ فأوحى الله تعالى اليه أن ياموسى أبغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ؛ فأنى أدنو منهم في كل يوم باعاً ؛ ولولا ذلك لانهـدموا . قال جعفر فقلت لمالك بن دينار كيف المنكسرة قلوبهم ؟ فقال سألت الذى أقرأنى الكتاب فقال سألت الذى سأل عبدالله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم بم تنكسر ؟ قال المنكسرة قلوبهم بحب الله عز وجل » وقد جاء في السنة الصحيحة ما يشهد بقرب الله من القلب المنكسر ببلائه الصابر على قضائه والراضى بذلك لما في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صـلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل يوم القيامة ياابن آدم مرضت فلم تعدنى ؛ قال رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده » وروى أبونعيم من طريق حمزة عن ابن شوذب قال « أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام آتدرى لأى شيء اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى؟ قال لا يارب! قال لانه لم يتواضع لى أحد قط تواضعك » وتواضعه هذا هو الخشوع ، وهو العلم النافع، وهو أول ما يرفع من العلم . خرج النسائى من حديث جبير بن نفير رضى الله عنه عن عوف بن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم نظر الى السماء يوماً فقال هذا أوان يرفع فيه العلم فقال رجل من الأنصار يقـال له زياد بن لبيد يارسول الله أو يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة وذكر ضلال اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله عز وجل . قال فلقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال صدق عوف ألا أخبرك بأول ذلك يرفع ؟ قلت بلى، قال الخشوع

حتى لا ترى خاشعاً » وخرجه الترمذى من حديث جبير بن نفير عن أبى الدرداء وأخبرته بالذى قال فقال صدق أبو الدرداء لو شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعاً . وقد قيل ان رواية النسائى أرجح . وروى سعيد بن بشير عن الحسن رحمه الله تعالى عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يرفع من الناس الخشوع فذكره. ورواه أبو بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب مرسلا .وروى نحوه عن حذيفة من قوله فالعلم النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية والاخبات لله والتواضع والانكسار واذا لم يباشر القلب ذلك من العلم ، وانما كان على اللسان ، فهو حجة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه . وغيره كما قال ابن مسعود رضى الله عنه أن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع صاحبه . وقال الحسن رحمه الله تعالى العلم علمان : علم باللسان ، وعلم بالقلب . فعلم القلب هو العلم النافع ، وعلم اللسان حجة الله على ابن آدم . وروى مرسلا عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عنه عن جابر رضى الله عنه مرفوعاً .وعنه عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً ولا يصح وصله فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن العلم الذى عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا ينتفعون بشىء منه لما فقدوا المقصود منه وهو وصوله الى قلوبهم حتى يجدوا حلاوة الايمان به ومنفعته بحصول الخشية والانابة لقلوبهم وانما هو على ألسنتهم تقام به الحجة عليهم . ولهذا المعنى وصف الله سبحانه في كتابه العلماء بالخشية كما قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ووصف العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخشوع كما قال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) ۞ وقوله تعالى في وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً مدح لمن أوجب له سماع كتاب الله الخشوع في قلبه . وقال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ولين القلوب هو زوال قساوتها لحدوث الخشوع فيها والرقة . وقد قبح الله من لا يخشع قلبه

لسماع كتاب الله وتدبره. قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا) الآية. قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين. خرجه مسلم وخرجه النسائي وزاد فيه فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. وخرج ابن ماجه من حديث الزبير رضى الله عنه قال « لم يكن بين اسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها الا أربع سنين » وقد سمع كثير من الصالحين هذه الآية تتلى، فأثرت فيهم آثارا متعددة فنهم من مات عند ذلك لانصداع قلبه بها، ومنهم من تاب عند ذلك وخرج عما فيه. وقد ذكرنا أخبارهم في كتاب الاستغناء بالقرآن (١) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)الآية. قال أبو عمران الجوني والله لقد صرف الينا ربنا في هذا القرآن مالو صرفه الى الجبال لمحاها ودحاها. وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقرأ هذه الآية ثم يقول أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن الا صدع قلبه. وروى عن الحسن رحمه الله تعالى قال يا ابن آدم اذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت أما سمعته يقول (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) الآية فانما ضرب لك الامثال لتتفكر فيها وتعتبر بها وتنزجر بها عن معاصى الله عز وجل وأنت يا ابن آدم أحق أن تخشع لذكر الله وما حملك من كتابه وآتاك من حكمه لان عليك الحساب ولك الجنة أو النار. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها » وروى نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة. ويروى عن كعب الأحبار قال « مكتوب في الانجيل يا عيسى : قلب لا يخشى علمه لا ينفع، وصوته لا يسمع، ودعاؤه لا يرفع » وقال أسد بن موسى في كتاب الورع حدثنا مبارك بن فضالة كان الحسن رحمه الله تعالى يقول ان المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها وأفضى يقينها الى قلوبهم وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم وكنت والله اذا رأيتهم رأيت قوما كأنهم رأى عين فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ولا اطمأنوا الا الى كتاب الله ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم ولكن جاءهم عن الله أمر فصدقوا به فنعتهم الله تعالى

---

(١) هو كتاب للمصنف

في القرآن أحسن نعت فقال(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) قال حلماء لا يجهلون ، واذا جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) ينتصبون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم لربهم سجدا تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم . وقال الحسن رحمه الله تعالى لأمر ماسهروا ليلهم ولأمر ما خشعوا نهارهم قال (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) قاله وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام أنما الغرام الملازم له ما دامت السموات والأرض . قال صدق القوم والله الذى لا اله الا هو فعملوا وأنتم تمنون فاياكم وهذه الأمانى رحمكم الله فان الله لم يعط عبداً بأمنيتـه خيراً قط في الدنيا والآخرة وكان يقول يالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ✡

﴿ فصل في بيان الخشوع في الصلاة ﴾ وقد شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشيء عن خشوع القلب وذله وانكساره ﴿ ومن أعظم ما يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة ﴾ وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقد سبق بعض ما قاله السلف في تفسير الخشوع في الصلاة . وقال ابن لهيعة عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون يعنى متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله،ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل . وقال ابن المبارك عن أبي جعفر عن ليث عن مجاهد (وقوموا لله قانتين)قال القنوت الركون والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رحمة الله تعالى . قال وكان العلماء اذا قام أحدهم في الصلاة هاب الرحمن عز وجل عن أن يشد نظره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا الا ناسياً مادام في صلاته . وقال منصور عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع في الصلاة. وخرج الامام أحمد والنسائى والترمذى من حديث الفضل ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الصلاة مثنى مثنى تشهد في كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك يقول ترفعهما الى ربك عز وجل وتقول يارب يارب فمن لم يفعل ذلك فهى خداج » وفي صحيح مسلم عن عثمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من امرىء مسلم تحضره صلاة

مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » (ومما يظهر فيه الخشوع والذل والانكسار من أفعال الصلاة وضع اليدين احداهما على الأخرى في حال القيام) وقد روى عن الامام أحمد رحمه الله تعالى أنه سئل عن المراد بذلك فقال هو ذل بين يدى عزيز . قال على ابن محمد المصرى الواعظ رحمه الله تعالى ما سمعت في للعلم بأحسن من هذا . وروى عن بشر الحافي رحمه الله تعالى قال « أشتهى منذ أربعين سنة أن أضع يدا على يد في الصلاة ما يمنعنى الا أن يكون قد أظهرت من الخشوع ما ليس في القلب مثله » وروى محمد بن نصر المروزى رحمه الله تعالى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة » وفسره بعض رواته بقبض شماله بيمينه وانحنى . وباسناده عن أبى صالح السمان رحمه الله تعالى قال « يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى » ✡ وملاحظة هذا المعنى في الصلاة يوجب للمصلى أن يتذكر وقوفه بين يدى الله تعالى للحساب ✡ كان ذوالنون رحمه الله تعالى يقول في وصف العباد لو رأيت أحدهم وقد قام الى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه ان ذلك المقام هو المقام الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله . خرجه أبو نعيم رحمه الله تعالى ومن ذلك اقباله على الله عز وجل وعدم التفاته الى غيره وهو نوعان ✡ أحدهما : عدم التفات قلبه الى غير ما هو مباح له ،وتفريغ القلب للرب عز وجل . وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال في فضل الوضوء وثوابه ثم قال «فان هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذى هو أهله وفرغ قلبه لله انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه» الثانى: عدم الالتفات بالنظر يمينا وشمالا وقصر النظر على موضع السجود وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته ✡ ولهذا رأى بعض السلف مصليا يعبث في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وسبق ذكره. وخرج الطبرانى من حديث ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتفت في صلاته عن يمينه وعن يساره ثم أنزل الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) فخشع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يلتفت يمنة ولا يسرة» ورواه غيره عن ابن سيرين رحمه الله تعالى مرسلا وهو أصح. وخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت « كان الناس في عهد النبي صلى

الله عليه وسلم اذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره موضع قدميه فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الناس اذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره موضع جبينه، فتوفي عمر رضى الله عنه فكان الناس اذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره موضع القبلة، ثم توفي عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت الفتنة فالتفت الناس يميناوشمالا » وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها، سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » وخرج الامام أحمد رحمه الله تعالى وابو داود رحمه الله تعالى والنسائى رحمه الله تعالى من حديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يزال الله مقبلا على العبد في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنـــه » وخرج الامام أحمد والترمذى من حديث الحارث الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن فذكر منهـا وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا » وفي المعنى أحاديث أخر متعددة. وقال عطاء سمعت أبا هريرة يقول « اذا صلى أحدكم فلا يلتفت فانه يناجي ربه ان ربه أمامه وانه يناجيه فلا يلتفت » قال عطاء رحمه الله تعالى وبلغنا ان الرب عز وجل يقول « يا ابن آدم الى من تلتفت، أنا خير لك ممن تلتفت اليه » وخرجه البزار وغيره مرفوعا والموقوف أصح. وقال أبو عمران الجونى رحمه الله تعالى أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام اذا قمت بين يدى فقم مقام العبد الحقير الذليل وذم نفسك فهى أولى بالذم وناجني بقلب وجل ولسان صادق ومن ذلك الركوع وهو ذل بظاهر الجسد ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله حتى بايع بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يخر الا قائما يعني يسجد من غير ركوع. كذلك فسره الامام أحمد رحمه الله تعالى والمحققون من العلماء. وقال الله تعالى (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) ﴿ وتمام الخضوع في الركوع ﴾ أن يخضع القلب لله ويذل له فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وما استقل به قدمى اشارة الى أن خشوعه في ركوعه قد حصل بجميع جوارحه ومن أعظمها القلب الذى هو ملك الجوارح والأعضاء فاذا خشع خشعت الجوارح والاعضاء كلها تبعاً له ولخشوعه ﴿ ومن ذلك السجود ﴾ وهو أعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه عز وجل حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزها عليه وأعلاها حقيقة أوضع مايمكنه (١)

(١) اوضع مفعول ثان لجعل بمعنى صير

فيضعه في التراب متعفرا ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل. ولهذا كان جزاء المؤمن اذا فعل ذلك أن يقربه الله عز وجل اليه فان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله تعالى (واسجدوا واقترب) والسجود أيضاً مما كان يأنف منه المشركون المستكبرون عن عبادة الله عز وجل. وكان بعضهم يقول أكره أن أسجد فتعلوني استي وبعضهم يأخذ كفا من حصى فيرفعه الى جبهته ويكتفي بذلك عن السجود. وابليس انما طرده الله لما استكبر عن السجود لمن أمره الله بالسجود له. ولهذا يبكي اذا سجد المؤمن ويقول أمر ابن آدم بالسجود ففعل فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار* ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعه وسجوده انه اذا ذل لربه بالركوع والسجود وصف ربه حينئذ بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو فكأنه يقول الذل والتواضع وصفي والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ولهذا شرع للعبد في ركوعه أن يقول سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً يقول في سجوده سبحان ذي الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة. وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة في سجوده «أقول كما قال أخي داود عليه السلام أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لسيدي أن تعفر الوجوه له» قال الحسن رحمه الله تعالى «اذا قمت الى الصلاة فقم قانتا كما أمرك الله واياك والسهو والالتفات. اياك أن ينظر الله اليك وتنظر الى غيره وتسأل الله الجنة وتعوذ به من النار. وقلبك ساه لاتدري ماتقول بلسانك . خرجه محمد ابن نصر المروزي رحمه الله تعالى. وروى باسناده عن عثمان بن أبي أوس قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة جهر فيها بالقراءة فلما فرغ قال هل أسقطت من هذه السورة شيئاً قالوا لا ندري فقال أبي بن كعب نعم آية كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال أقوام يتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يتلى عليهم مما يترك هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بني اسرائيل شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ولا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد بقلبه مع بدنه . والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً ومر عصام بن يوسف رحمه الله تعالى بحاتم الاصم وهو يتكلم في مجلسه فقال ياحاتم تحسن تصلي ؟ قال نعم! قال كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالامر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالاخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف،

أخاف أن لا يقبل مني ،وأحفظه بالجهد الى الموت. قال تكلم فأنت تحسن تصلى ✡

(فصل) ومن أنواع العبادات التى يظهر فيها الذل والخضوع لله عز وجل الدعاء قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية)وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) فما يظهر فيه من الذل رفع اليدين.وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه من الدعاء في مواطن كثيرة وأعظمها في الاستسقاء فانه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه وكذلك كان يجتهد في الرفع عشية عرفة بعرفة .وخرج الطبراني رحمه الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة ويداه الى صدره كاستطعام المسكين» وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكنا مطرقا برأسه ويمد يديه كحال السائل وهذا من أبلغ صفات الذل واظهار المسكنة والافتقار ومنه افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله عزوجل واستشعاره شدة الفاقة اليه والحاجة لديه وعلى قدر الحرقة والفاقة تكون اجابة الدعاء. وفي المسند والترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» ✡ ومن ذلك اظهار الذل باللسان في نفس السؤال والدعاء والالحاح فيه قال الاوزاعي رحمه الله تعالى كان يقال أفضل الدعاء الالحاح على الله والتضرع اليه . وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا يوم عرفة فقال اللهم انك ترى مكاني وتسمع كلامي ولا يخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وذل لك جسده ورغم لك أنفه وفاضت عيناه اللهم لاتجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين وياخير المعطين وكان بعضهم يقول في دعائه بعزتك وذلي وبغناك وفقرى.وقال طاوس رحمه الله تعالى دخل على بن الحسين رحمه الله تعالى ذات ليلة الحجرة فصلى فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك فقيرك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك قال طاوس فحفظتهن فما دعوت بهن في كرب الافرج عني خرجه ابن أبي الدنيا (١) وروى ابن با كويه الصوفي رحمه الله تعالى باسناد له ان بعض العباد حج ثمانين حجة على قدميه فبينما هو في الطواف وهو يقول ياحبيبي واذا بهاتف هتف اليس ترضى أن تكون مسكينا حتى تكون حبيبا قال فغشى على ثم كنت بعد ذلك أقول مسكينك وأنا تائب عن قولي حبيبي ✡

---

(١) قال في تاج العروس با كويه جد محمد بن عبدالله بن أحمد الشيرازي الصوفي روى عنه أبوبكر بن خلف وأبو القاسم القسيرى انتهى

(فصل) خرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه «اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين» وخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وزاد فقالت عائشة رضي الله عنها لم يارسول الله قال لانهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ياعائشة لاتردي المسكين ولو بشق تمرة، ياعائشة أحبي المساكين وقربيهم، فان الله يقربك يوم القيامة. وقال أبو ذر أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحب المساكين وأن أدنو منهم خرجه الامام أحمد وغيره. وفي حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قصة المنام «أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين» وذكر الحديث والمراد بالمساكين في هذه الاحاديث ونحوها من كان قلبه مسكينا خاضعا لله خاشعا له وظاهره كذلك. وأكثر ما يوجد ذلك مع الفقر من المال لان المال يطغي. وحديث أنس رضي الله عنه يشهد بهذا الأن اسناده ضعيف. وخرج النسائي من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الفقر فقر النفس والغنى غنى القلب» وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الغنى غنى النفس. ولهذا قال الامام أحمد وابن عيينة وابن وهب وجماعة من الأئمة ان الفقر الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقر النفس فمن استكان قلبه لله عز وجل وخشع له فهو مسكين وان كان غنيا من المال لان استكانة القلب لاتنفك عن استكانة الجوارح ومن خشع ظاهره واستكان وقلبه ليس بخاشع ولا مستكين فهو جبار. وفي الحديث الذي خرجه النسائي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريق وفيه امرأة سوداء فقال لها رجل هاء الطريق فقالت لهان شاء يمنة وان شاء أخذ يسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جبارة فقالوا يارسول الله انها تعني انها مسكينة فقال ذاك في قلبها. وقال الحسن رحمه الله تعالى ان أقواما جعلوا التواضع في لباسهم والكبر في قلوبهم ولبسوا مدارع الصوف (١) والله لاحدهم أشد كبرا بمدرعته من صاحب السرير بسريره وصاحب المطرف بمطرفه (٢) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أنكر أن لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كبر. وقال الكبر بطر الحق وغمط الناس وهذا تصريح بأن حسن اللباس ليس بكبر. والكبر انما هو في القلب وهو عدم الانقياد للحق تكبرا عليه وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم فمن كان في نفسه عظيما بحيث يحقر الناس لاستعظام

---

(١) المدارع جمع مدرعة وهي كمكنسة ثوب كالدراعة ولا يكون الا من صوف. انتهى قاموس

(٢) المطرف كمنبر ومكرم رداء من خز مربع ذو أعلام جمعه مطارف وقال الفراء هو من الثياب ما جعل في طرفيه علمان انتهى

نفسه ويأنف من الانقياد للحق تكبرا عليه فهو المتكبر وان كان ثوبه ليس بحسن ونعله ليس بحسن ومن ترك اللباس الحسن تواضعاً لله وخشية أن يقع في نفسه شيء من الكبر فقد أحسن فيما فعل فقد كان ابن عمر رضي الله عنه يفعل ذلك وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الانبجانية التي لبسها انها ألهتني آنفا عن صلاتي يدل على ذلك

(فصل في فضل مقام العبودية) ومما اختاره صلى الله عليه وسلم مقام العبودية على مقام الملك وقام بين يديه صلى الله عليه وسلم رجل يوم الفتح فارتعد فقال له هون عليك انى لست بملك وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله. وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة قال لا أعلمه الا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جلس جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك مهول فقال جبريل عليه السلام ان هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة فلما نزل قال يا محمد ارسلني اليك ربك أفملكا نبيا يجعلك أم عبدا رسولا ومن مراسيل يحيى بن كثير رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فانما أنا عبد » خرجه ابن سعد في طبقاته وخرجه أيضا من رواية أبي معشر عن المقبري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول ان شئت نبياً ملكا وان شئت عبداً رسولا فأشار الى جبريل عليه السلام ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد لا يأكل متكئا ويقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد. ومن مراسيل الزهري رحمه الله تعالى قال بلغنا أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها ومعه جبريل عليه السلام فقال الملك وجبريل عليه السلام صامت ان ربك يخيرك أن تكون ملكا أو نبيا عبدا فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام كالمستشير فأشار اليه أن تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نبياً عبداً قال الزهري فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأكل متكئا منذ قالها حتى فارق الدنيا. وفي المسند أو في كتاب الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عرض على ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال ثلاثا نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك » قال بعض العارفين. من ادعى العبودية وله مراد باق فهو كاذب في دعواه. انما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراد سيده يكون اسمه ما سمي به ونعته ما حلى به اذا دعا باسمه أجاب عن العبودية فلا اسم ولا رسم ولا يجيب الا لمن يدعوه بعبودية سيده وأنشد يقول

ياعمرو ثارى عند دهرى ✡ يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بياعبدها ✡ فانه أصــدق أسمائى

(وأنشد الآخر)

مالى وللفقر الى عاجز ✡ مثلى لا يملك اغنائى
وانما يحسن فقرى الى ✡ مالك اسعادى واشقائى
أتيتــه محيا بانتماء الى ✡ أبوابه اذ قلت مولائى
لا تدعنى الا بياعبــده ✡ فانه أشرف أسمائى

(روى الحافظ أبو نعيم) رحمه الله تعالى في كتاب أسماء الصحابة من طريق الشيخ أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى حدثنى علقمة بن سويد بن الحارث الأزدى عن أبيه عن جده يذكر وينقل عن لقمان الحكيم انه قال لابنه جمعت لك حكمتى في ست كلمات: اعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها، واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها، واعمل لله بمقدار حاجتك اليه، واعمل من المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة، ولا تسأل الا من لا يحتاج الى أحد، واذا أردت أن نعصى الله فاعصه في مكان لا يراك فيه (وقال ابراهيم الخواص) رحمه الله تعالى دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء الباطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى في موعظته حين سألوه عن قوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وانا ندعوه فلم يستجب لنا فقال لهم: عرفتم الله فلم تطيعوه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به، وعرفتم الشيطان فوافقتموه، وادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته، وادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها، وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب، وقلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له، واشتغلتم بعيوب غيركم ولم تنظروا الى عيوبكم، وتأكلون رزق الله ولا تشكرون، وتدفنون أمواتكم ولا تعتبرون. فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضيه عنا برحمته، ويختم لنا بخير آمين، انه أرحم الراحمين رب العالمين، وصلى الله تعالى على خاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبى الله عليه توكلت ونعم الوكيل ✡



بسم الله الرحمن الرحيم

[لمالكه هذا الكتاب فضل حق خيرآبادي